المحاضرة الخامسة:

تباين التلاميذ في وتيرة التعلم:

يحتل مبدأ الفروق الفردية بين الأفراد مكانة خاصة في الدراسات السيكولوجية، حيث تؤكد مختلف البحوث على التباين الكبير في اختلاف أساليب التفكير و التعلم عند الأفراد كما تبين أيضا اختلاف إيقاعاتهم، ولكن لم تحط أية دراسة بالأسباب الكامنة وراء هذه الاختلافات، سواء بين الأفراد أو حتى مع نفس الفرد. (testu ;2010 ;41).

و في هذا الإطار أكد (فرمان،1983)" ضرورة "فردنة البيداغوجيا" بسبب الاختلافات الملاحظة من طرف الباحثين من طفل لآخر فيما تعلق ببعض المتغيرات المدروسة الحسية، النمو، النضج، واستعداد الطفل لهذا النشاط أو ذاك حسب ساعات اليوم و إيقاع استيقاظ نومه ،و كمية العمل المطاق المفروض تحمله، و **يؤدي عدم احترام هذه العوامل في الاختلافات بين التلاميذ إلى تعميق الفوارق** فيشكل بذلك مصدرا للإرهاق و لذلك اعتبر Edgard 1979 أن هناك عددا من التلاميذ مرتاحين مع الوتائر المدرسية المطبقة و يتحملونها جيدا وآخرون عكس ذلك ،ويعود ذلك إلى الاختلافات الفردية.

ما يمكن قوله ايضا بخصوص الفروق الفردية؛ أنّ هناك تباين كبير في الوتائر من طفل لآخر في نفس الفئة العمرية، ولبعض الأطفال من يوم لآخر، ومن أسبوع لآخر و من فترة لفترة، فإذا اعتبرنا مفهوم الوتيرة متعلقا بمفهوم التطور الحاصل في زمن معين، فمن البديهي أن بعض الأطفال هم باكرين أكثر من أطفال آخرين فيكونون؛ منتبهين، سريعين، ... في حين يوصف غيرهم حسب وتيرة نموهم سواء البيولوجي أو السيكولوجي بأنهم متأخرون، بطيؤون، غير يقظين،... إلا أن المفارقة تبدو أيضا فيما يمكن ملاحظته عند نفس الفرد، حيث يمكنه أن يكون بطيئا في بعض المهام، وسريعا في أخرى، فنفس الطفل لا يؤدي المهام بنفس الوتيرة في كل مرة.

النشاطات خارج المدرسة:

ان الانشطة اللاصفية هي ذلك الجزء من المنهج الكلي الذي يضمن خبرات لا تقدم عادة في الفصل الدراسي، و هي لا ترتبط بمقررات معينة و لكنها يمكن أن تثريها و توسع افاقها و تعمق الأفكار و الخبرات التي تكتسب فيها كما أنها تسهم في التربية الشاملة للمتعلم جسميا و معرفيا و مهاريا ووجدانيا.

وعليه فان الأنشطة التي تمارس خارج المدرسة المبرمجة وغير المبرمجة من طرف الادارة المدرسية تساعد المتعلم في حمايته من الآثار السلبية لأوقات الفراغ ، كما أنها توفر الفرصة لاكتشاف مواهبهم و تنميتها، وكما أنها من ناحية أخرى تساعده على تحمل ضغوط المدرسة و اطلاق طاقتهم واكتشاف مقدراتهم و اهتماماتهم، وتؤثر على أدائه في المدرسة مما تجعله يشعر بالقدرة على الانجاز و التعلم.

من الخطأ كل من يتصور أن العملية التعليمية التربوية تحدث داخل الفصل المدرسي فقط ، فقد ثبت علميا أن حوالي 80 % مما يتعلمه المتعلم يكون من خارج الفصل المدرسي، بل و خارج المدرسة ذاتها، و هذا الامر

يتفق مع الفكرة التربوية الاساسية التي تؤكد على أن عملية التربية هي تربية من أجل الحياة، و من ثم وجب أن تكون في الحياة و ممارسة لمواقف حياتية ، و هذا الى أن التعليم يكون سطحيا و قليل القيمة، و لا فعالية له ، اذا ما تم عن طريق الاسلوب التقليدي ، ذلك الاسلوب القائم على السلبية و عدم المشاركة و محدودية مصادر المعرفة، و اقتصارها على كتاب المدرسة و تركيز جهود المعلم و المتعلم على استيعاب ما جاء بالكتاب المدرسي دون مناقشة أو مشاركة أو عمل أو نظر في امكانية تطبيق كل ما هو نظري في الواقع الاجتماعي الذي يعيشه و الذي سيمارس حياته فيه بعد ذلك لسنوات طويلة، والذي بدوره يوضح على أهمية النشاطات خارج المدرسة و التي تساهم على اكتساب مهارات الاتصال لدى المتعلم في مراحله الاولى ، والتدريب عليها ، كحسن القراءة ، التحدث و الاستماع.

وفي هذا المجال يرى الباحثون انه حتى نقي أطفالنا من مخاطر الهروب لابد من وجود نشاط مدرسي متنوع و مثير و يهيئ للأطفال الفرص المتعددة للنمو الاجتماعي السليم، و اشباع حاجاتهم الى المساهمة مع الغير و التعاون، و تكوين علاقات سوية خارج دائرة الاسرة، و هذا يعني النشاط التي تمارس خارج المدرسة وسيلة ناجحة لمعالجة مشكلة الهروب من المدرسة.

إن التربية الحديثة بكل اتجاهاتها ترى أن النشاط اللاصفي (النشاطات خارج المدرسة) من أهم الجوانب التي يجب أن يرتكز المنهج المدرسي عليها كوسيلة لا غاية ، لأنه يساعد في بناء الجوانب المختلفة المهمة للمتعلم ، كالنواحي النفسية و الاجتماعية و القيم الحركية و الجمالية ، كما أنها تعمل على بناء الجوانب المعرفية و التحصيلية و الاكاديمية ، لكن في معظمها ليست مبرمجة في التعليم و لا يهتم بها العاملون في مجال التربية لعدم معرفتهم و خبرتهم لها أو لعدم مقدرتهم على التعامل مع مثل هذه الأنشطة ،لأن المناهج المقررة في المدارس مناهج تقليدية تهتم بتنمية الذاكرة و الاعتماد عليها ،و تهمل تطوير جوانب التفكير الابداعية للمتعلمين ، و تهتم التربية الحديثة بالعمل خارج الصف و تعتبره جانبا مهما و اساسيا، يحقق معظم الأهداف من خلال القيام بأنشطة تلقائية و عفوية خارج الصف.

وهذا ما تؤكده دراسة (Little 2004) على أن الاشتراك في الأنشطة اللاصفية مهم من أجل تطوير مهارات كثيرة ضرورية للقرن الحادي و العشرون ، مثل الخبرة في تحديد و حل المشكلات و مهارات التواصل و المهارة في الأساسيات في المجالات كافة.

وكما يضيف (Rickinson 2004) ان التعلم خارج جدار الصف في العالم الحقيقي يوفر فرصا رائعة لكل من المتعلمين و المعلمين للتعلم الحقيقي. انه يزود المتعلمين بالعديد من الفوائد على صعيد المرح و المتعة و تطوير الشخصية و الطموح ، اضافة الى تحقيق انجاز أفضل في المادة نفسها.

الى جانب ذلك، بينت دراسة هينسلي (1976) التى استهدفت في الكشف عن العلاقة بين ممارسة الأنشطة الحرة و النمو الشخصي و الاجتماعي و التحصيل الاكاديمي للطلاب، و قد أكدت نتائج الدراسة ان الطلاب الحاصلين على درجات عالية من أصحاب التحصيل الجيد كانوا من المشاركين في الانشطة المدرسية الحرة أكثر من غيرهم.

و كما جاءت دراسة طوطاوي عن النجاح المدرسي في التعليم الالزامي (2011) التي توصلت بان انخفضت نسبة النشاطات في التعليم الابتدائي للتنظيم الجديد من 12,04% إلى 7% من الحجم الساعي الأسبوعي لكل المواد المبرمجة في هذا المستوى، مع الإشارة إلى أنها تضم التربية التشكيلية و التربية الموسيقية. و زاد انخفاض هذه الحصة خلال العام الدراسي 2008 إلى 6% و نفس الملاحظة بالنسبة للتربية البدنية و الرياضية في التنظيم الجديد من4% إلى3 %.

والذي يعني بأننا نرهق هذا المتعلم بالحجم الساعي الأسبوعي أو السنوي، و نرهقه أكثر حين نطالبه بالوظائف المنزلية لكل المواد في البيت، مع تعددها في هذه المرحلة، و لا ننسى أيضا البيئة أو المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه هذا المتعلم. ألا نحاول بهذا جعل المتعلم ينفر من المدرسة التي أصبحت بالنسبة إليه مكانا للأعمال الشاقة، بالتالي يشعر بعدم قدرته على تحقيق نجاحه المدرسي. كما انها توصلت في النهاية وما توصل اليه التحقيق الدولي سنة 2003 و المقارنة الدولية التي قامت بها منظمة (OCDE) ، و التي اعتبرت النظام التربوي الفنلندي كأحسن نظام مقارنة بكل الدول الأعضاء فيها، حيث كان تلاميذها الأوائل في القراءة و الرياضيات وحل المسائل.

وفي الاخير، ما يميز النظام التربوي الفنلندي هو غياب التقويم، وأيام الدراسة القصيرة، و أهمية الموسيقى و الفنون و الرياضة، إضافة إلى (10) أسابيع عطلة في الصيف، و وجبة غذاء مجانية في المدارس الابتدائية الإلزامية (7- 16) سنة. كما تعتبر المدرسة امتدادا للبيت و ليس مكانا باردا مملوءا بالنواهي.

و لذلك على واضعي المنهاج أن يكثروا من الانشطة المدرسية داخل الفصل و خارجه و أن يضعوا في خططهم الوقت الكافي لممارسة الانشطة المختلفة ، و يجب النظر الى النشاط على أنه جزء من المنهاج و أن يكون له هدف محدد مرغوب و واضح عند المدرس و التلاميذ و أن يتعرف المدرس من خلاله على ميول التلاميذ و جوانب شخصياتهم ليتمكن من توجيههم و الاشراف عليهم.

عموما لاشك في أن الطفل سواء من المنزل، أو في الشارع كان يتمتع بقسط كبير من الحرية و التلقائية فيما يفعل و فيما يتحرك ، فعلى المدرسة أن تبقى له على هذه الحرية ، و أن تهيء له الكثير من الفرص التي ينشط فيها نشاطا تلقائيا حرا مثيرا لميوله و اهتماماته ، ان الوقت الذي يترك فيه الطفل نشاطه التلقائي الحر ليس وقتا ضائعا ، فقد يتعلم من مثل هذا النشاط أكثر مما يتعلم من النشاط المقصود بعينه ، الاجباري ، الذي يفرض عليه فرضا.

إن ميدان الوتائر المدرسية يقوم من الناحية العلمية على التطبيقات الثلاث وهي: الكرونوبسيكولوجي والكرونوبيولوجي والزمن المدرسي(وهو الاطر الزمنية التي تنظم العمل المدرسي؛ سبق شرحه)، حيث يعتبر الزمن المدرسي كمتغير خاجي يتعلق بالجداول استعمال الزمن المدرسية أو الرزنامة المعمول بها لتحديد ساعات الدراسة و اوقات العطل، بينما الوتيرة البسيكولوجية فترصد التغيرات النفسية والمعرفية المتعلمة من قبل التلميذ وتناسبها مع الوتيرة البيولوجية التي تضبط تلك التغيرات واثر كل الدورات(كدورة النوم مثلا) في تنظيم وتسهيل التعلم .

في الختام نركز بالقول انه لفهم الوتائر المدرسية يجب الاطلاع الجيد على وتائر النمو(البيولوجية) ووتائر التعلم(التذكر والانتباه) والآن اصبحت كل المنظومات التربوية تعتمد على مختصين في الوتائر المدرسية لإعداد المناهج التعليمية لما يتناسب وامكانات التعلم خلال كل مرحلة.

مع تمنياتي لكم بدوام الصحة والعافية

استاذة المقياس: د. عامر نورة